قانون كرك اللا ومذبحة الإسكندرية (خريف عام ٢١٥م)
وتبرئة كرك اللا أنه كان ضد الشعب المصرى صاحب الأرض

دكتور

محمد بهجت قبيسى

مدرس بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية

قانون كرك اللا ومذبحة الإسكندرية (خريف عام ٢١٥م) وتبرئة كرك اللا أنه كان ضد الشعب المصرى صاحب الأرض

هذا البحث هو جزء من كتاب عنوانه : (الكنعانيون والآراميون العرب فى الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادى).

لا أظن أن مدة عشرين دقيقة كافية لتبرئة إمبراطور لاكه بعض المؤرخين المغرضين أمثال (ديوكاسيوس)، لكنى أرجو أن أوفق إلى ذلك.

وبداية لابد من الإشارة إلى الثوابت التالية :

الثابت ١ – لقد كُتب التاريخ القديم حسب الفكر التوراتى، أو الفكر الإغريقى، ولقى فى الآونة الأخيرة تناغماً بين الفكرين عدا قلة قليلة أمثال دوبون سومير وأندرية بيجانيول، حيث يعترف الأول أن اللغة الآرامية هى أقرب للعربية الفصحى من العبرية، ويصف الثانى أن أسرة كرك اللا هى الأسرة العادلة بالإمبراطورية الرومانية.

الثابت ٢ – لقد قام بعض العرب المحدثين أصحاب الأرض ببعض القراءات المنهجية بعين عربية خالية من العصبية الشوفانية (نسبة إلى شوفان)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما جاء بدراسة أستاذنا الدكتور مصطفى العبادى فى تبرئة العرب من حريق مكتبة الإسكندرية، إنما لا تزال هذه الكتابات فى بداياتها.

وفى بحثنا عن قانون كرك اللا [الذى منح الهوية الرومانية لكافة

السكان الذين تظلهم سماء الإمبراطورية] والتى كانت حكراً على إيطاليا، وبعض سكان الإسكندرية، وبعض سكان نيقيا/ إنطاكية، وآخرين قلائل. وأما باقى سكان الإمبراطورية فهم مستعمرون يعدون من طبقة العبيد. وجاء قانون كرك اللا ليحرر هؤلاء واستثنى المجرمين فقط.

فى بحثنا عن هذا القانون الذى يعتبر أساس مدينة الإسكندرية، لابد لنا من دراسة ناحيتين هامتين :

الأولى : أصل هاتين الأسرتين المتصاهرتين العريقتين اللتين أنجبتا كرك اللا :

١- أسرة شمسى غرام العربية الآرامية التى سكنت مدينة حمص، ومنها والدة كرك اللا [جوليا دُمنا] ابنة كاهن معبد الشمس شمسى غرام.

٢- الأسرة العربية الكنعانية التى سكنت مدينة لبدا (فى ليبيا الآن)، والتى منها والد كرك اللا [سبطيم سفير] والتى عرفت بالأسرة السيفيرية أو ما نطلق عليه الأسرة السبطية أو السافرة نسبة إلى سبطيم سفير. وهى تضم أربعة أباطرة : سبطيم سفير، وكرك اللا، وإله الجبل، وأسكندر سفير.

إن دراسة هاتين العائلتين من الناحية الوطنية والثقافية، تكشف لنا مضامين القوانين السبطية، ومنها قانون كرك اللا.

والناحية الثانية هو التعرف على الجو الثقافى الذى جمع هاتين العائلتين ممثلا باتباعهما المدرسة الفلسفية الرواقية والتى أسسها زينون الكنعانى القبرصى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد الذى هاجر إلى أثنا وعلم تحت الرواق، وهى ما تعرف (Stoicism).

فأما عائلة شمسى غرام :

فقد اشتهرت بتاريخها الوطنى أثناء الحكم السلوقى فى بلاد الشام، فإذا قسمنا تاريخ الإغريق فى بلاد الشام إلى ثلاث فترات :

١- فترة الإسكندر المقدونى الأممية،

٢- فترة السلوقيين العنصرية (غير المعلنة) والتى بدأت بعد موت الإسكندر الأكبر وانتهت عام ١٧٠ ق.م.

٣- والفترة الثالثة فترة فرض الأغرقة التى بدأها أنطيوخس الرابع سنة ١٧٠ م أثناء احتفالات دفنا.

وفنا برزت المقاومة العربية (الكنعانية - الآرامية - النبطية - الأعرابية) بأجلى صورها (١٧٠ -٦٥ ق.م.)، فقامت الثورات ضد الأغرقة، وكان على رأس هؤلاء الثوار عائلة شمسى غرام التى قضت على أنطيوخس الثالث عشر آخر ملوك السلوقيين، إلا أن بومبى لم يوف العرب حقهم واستبعد شمسى غرام وأكثر حكام الأقاليم وتجاهل طلباتهم الوطنية.

( )

هذا من الناحية الوطنية. أما من الناحية الثقافية، فقد فتحت جوليا دمنا والدة كرك اللا (كرك الله) عيناها على التحرر والثقافة. فقد كانت جوليا دمنا فتاة شرقية آرامية متحضرة فى ثقافتها المميزة وحضارتها الشرقية الرفيعة عن بنات الغرب الرومانيات، فقد كانت تغشى المجالس العلمية[١]

(١) جود فرى تورتون ، ص ١٠٥.

التي كان جدها وأبوها يعتقدانها للحجاج الذين يفدون إلى الشرق للتبرك والتنعم والتنبؤ[1]، وهي أمور لم تكن الفتيات الرومانيات يتمتعن بها، وعلى هذا فقد اتصفت هذه الفتاة بصفات لم يقدر لغيرها أن يحملنها[2] (وهي والدة كرك اللا)، وأضافت إلى امتيازاتها فيما بعد، وفي نظر زوجها، أنها قد ولدت لسبطيم في (ليون) لوج دونم سنة ١٨٨ ميلادية ابنها البكر الذي أطلقت عليه اسم (بأس يان) علي اسم جدة لأمه، لكنه عرف فيما بعد باسم آرامي آخر هو كرك اللا[3] CARACALLA، ومعنى كرك اللا أي قدرة الله[4] (كرك الله).

أما عائلة سبطيم سفير (والد كرك اللا) :

فتعود في تاريخها إلى لوقا سبطيم قاتل بومبي عام ٤٨ ق.م.، والذي له مع سبطيم سفير صلة قريبي بعيدة على ما تذكره جود فري تورتون[5]، وذلك رداً على عدم حصول أهالي المنطقة على ما كانوا يتوقعونه من القائد

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٢-٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٤.

Hebrew and English Lexicon of the Testment. P. 501.

هذا القاموس الذي سرق به دوايفر Driver نقوش الأرض وكلماتها ليضيفها إلى قاموس جيزنيوس (١٨١٥) ليعتبرها عبرية. جاء في القاموس ص ٥٠١ : كرك تعني لفة، حزمة. أما في اللغة الاكادية فتعني مرحل أمبيق (أو القدرة). وفي العاميات الزراعية لبلاد الشام تجد لفظ كركة تعني أمبيق المستعملة في استخراج ماء الزهر المقطر. والأمبيق يحمل معنى القوة والقدرة، وهذا في فقه اللغة يعتبر مدلول. وكذلك مدينة الكرك فيلادون حاليا فهي ذات مدلول عسكري يعني القوة والقدرة.

(٤) جود فري تورتون ، ص ١٠٥.

(٥) هز جونز، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ص ٦٢.

الرومانى بومبى[1] (وهنا يظهر لنا التناغم الوطنى الذى كان بين عائلة شمسى غرام الآرامية وعائلة سبطيم الكنعانية) فى موضوع بومبى.

وتشير المصادر إلى أن جد سبطيم سفير المباشر واسمه أيضا لوقا سبطيم سفير (٧٥م)، كان شخصية كبيرة فى مدينة لبدا الكنعانية الإفريقية. وقد أهدى إليه الشاعر (ستاس) واحدة من قصائده عندما رفعت المدينة إلى رتبة مستعمرة حوالى ١١٠م. فقد شغل لوقا سبطيم الجد مناصب متعددة. فقد كان قاضياً فى لبدا ثم حاكما قبل أن ينتقل إلى روما ليصبح أحد أعضاء مجلس التشريع وقاضياً فيها[2] [لنلحظ ذلك : أن الجد كان فى مجلس التشريع وقاضياً فى روما ما دمنا نبحث فى مقدمات قانون كرك اللا (كرك الله)].

كما تشير المصادر أن والد سبطيم كان من مرتبة الفرسان ولهذا أقام سبطيم سفير بعد تسلمه السلطة فى روما تمثالا لأبيه فى لبدا سنة ٢٠١م.

أما سبطيم سفير، ولكون والده أحد الفرسان الميسورين[3] ، فقد استطاع أن يتابع تعلم البلاغة والقانون حتى بلوغه سن الثامنة عشر على يد معلمين من قرطاجة ومادورا (MADAURE) فى افريقيا، ولم يك هؤلاء المعلمون يقلون فى شئ عن أندادهم فى روما[4] .

---

(١) J. Babelon, p. 60.

(٢) J. Babelon, p. 59.

(٣) جيه فرى تورتون ص ٢٣-٢٤ + J. Babelon, p. 59-62.

(٤) راجع الملحق رقم ١ + ٢ + ٣ + ٤.

كانت لغة عائلة سبطيم سفير البيتية هى العربية الكنعانية التى يتكلم بها أهالى قرطاجة، وتعلم سبطيم اللغتين اللاتينية واليونانية إلا أن لهجته الكنعانية ظلت مؤثرة عى لاتينيته حتى عندما أصبح إمبراطوراً فى روما، ويذكر المؤرخون أن لهجته كانت أسلم من لهجة أخته التى زارته فى روما مما أثار استهزاء وسخرية سكان روما[1](حسب أقوال المؤرخ ديوكاسيوس الذى كان يكره هذه الأسرة).

وأما فيما يتعلق بالاهتمام بالنسب فى المنطقة العربية فهذا ما يؤكده رينيه دسو فى كتابه تاريخ سورية قبل الإسلام[2] .

بالإضافة إلى أن أول اتصاد نسائى قام فى روما أوجدته جوليا سواى ميساس ابنة أخت جوليا دمنا[3]، ناهيك عن المجالس الفلسفية التى كانت تعقدها جوليا دمنا فى كل روما ودفنا / أنطاكية.

هذا غيض من فيض عن الأسرتين وتاريخهما الوطنى والثقافى.

أما الفكر الإيديولوجى الذى جمع الأسرتين هو المدرسة الفلسفية الرواقية. وفى هذه العجالة نشير إلى ثلاث مدارس فلسفية كانت سائدة :

١- الأولى هى الرواقية، ونستطيع أن نشبهها إن جاز التعبير بأحد الأديان السماوية.

---

(١) جود فرى تورتون ص ٢٣-٢٤ + J. Babelon, p. 59.

(٢) رينيه دسو، تاريخ سورية قبل الإسلام، ص ٢٢.

(٣) جود فرى تورتون، ص ١٩٩-٢٠٠.

٢- الثانية هى الأبيقورية، ونستطيع أن نشبهها بفلسفة الغجر (النور) الجبسى للحياة.

٣- الثالثة هى الكلبية، ونستطيع تشبيهها بحياة الهيبيين اليوم.

المدرسة الرواقية :

مؤسسها زينون الكنعانى القبرصى، واسم زينون كاسم خلدون حيث الواو والنون هى لاحقة كنعانية، فأقول : قاسى = قاسيون - حرم = حرمون - كفر = كفرون - خالد = خلدون - زيد = زيدون - صيد = صيدون. نشر مدرسته سنة ٣٠٠ ق.م. فى أثنا تحت أحد الأروقة، لذا سميت بالرواقية. من تعاليمها:

- وحدة الجنس البشرى.

- المساواة بين الناس.

- عدالة الدولة.

- تساوى قيم الرجال والنساء.

- احترام حقوق الزوجة.

- الإحسان والحب والطهارة والتسامح والإحسان إلى الآخرين.

- الشعور الإنسانى حتى فى حالة الضرورة القاسية التى تقضى بمعاقبة المجرم بالإعدام. كل هذه وسواها تملأ كتب الرواقيين[1] .

(١) عيسى اليازجى، ص ١٤٧.

والمثير أن هذه المدرسة أصبحت عماد فكر كل صاحب عقيدة سياسية أو أخلاقية أو دينية[1] . حتى أن بعض فلاسفة الفكر الإسلامي مثل صدر الدين الشيرازي المتوفى سنة ١٦٤٠ م، أخذ من هذه المدرسة، وسماها الشيرازي ووصفها بالمدرسة الإشراقية ووصف أهلها بأنهم حكماء أصحاب نقاوة الأنواق وأهل الإشراق[2] .

قانون كرك اللا (كرك الله) :

لم يكن قانون كرك اللا (كرك الله) وليد ساعته، بل كان مهيئا من أيام أبيه سبطيم الذي كلف فقهاء القانون، معتنقي المدرسة الفلسفية الرواقية، وأهمهم :

- بابنيان الآرامي الحمصي.

- آلب يان الكنعاني الصوري (من مدينة صور).

ولم يكتب لفلسفة زينون الرواقية أن تخرج إلى حيز التطبيق إلا بعد ٥٠٠ عام على يد أبناء جلدته الكنعانيين السيفيريين لتصبح عالمية على مستوى الإمبراطورية.

قبل القوانين السبطية كان هناك قانونان :

الأول : وهو القانون الروماني الأساسي، وكان موضوعا لمدينة معينة، ولفئة محدودة من المواطنين.

---

(١) عيسى اليازجي، مكر سوريا في العصر الروماني، ط١ ، بيروت، ص ١٤٧.

(٢) صدر الدين الشيرازي، الحكمة المتعالية، ج١، ايران ، قم ، ص ١٣.

الثاني : الذى أضافوه وسموه قانون الشعوب[1] .

إلا أن كليهما لم يوفيا الغرض الذى أراده السبطيون السافرة.

والمعروف أن سبطيم سفير والد كرك اللا (كرك الله) كان أحد الأباطرة القلائل الذين درسوا القانون، وعندما تسلم السلطة لم يشأ أن يعمل على إحداث تغيير قانوني كامل ومفاجئ لأن ذلك سيؤدى إلى تغيير اجتماعى مفاجئ أيضاً، بما يصاحب ذلك من فوضى أمنية ضارة[2] . وعندما بدأ بالتسلسل التدريجى أقام مجالس المدن الديمقراطية، ثم أكمل ابنه كرك اللا (كرك الله) تلك الخطوة بإصدار قانون الرعوية الرومانية لكافة سكان الإمبراطورية. وبذلك تحققت المدرسة الفكرية الرواقية بتوحيد نظرة الدولة إلى كافة سكانها ومحاولة تحقيق المساواة ليس فقط بين الطبقات بل بين جنسى الطبيعة، وعلى هذا تساوى الرجال بالنساء، وهو أمر يتحقق لأول مرة فى روما بعصريها الجمهورى والإمبراطوري، وبرزت المرأة بصورة رسمية وقبلها الشعب منذ جوليا دمنا، وجوليا ميسا، وجوليا سواى مياس، وجوليا مامايا، وبت زباى/ زنوبيا.

وقامت القوانين على النظرة الإنسانية لبنى البشر التى يلفها الحب والطهارة والتسامح. فقانون كرك اللا (كرك الله) لم يعمل على تنزيل الطبقة الارستقراطية، بل رفع الطبقة الفقيرة والمستعبدة إلى تلك الطبقة.

---

(١) عيسى اليازجى، ص ١٤٩.

(٢) يمكن مع الفرق الشاسع طبعا إجراء مقارنة مع ما جرى في الاتحاد السوفياتي المعاصر وضعت قوانين مفاجئة لتغيير واقع سياسى معين.

يقول المشرع الرواقي ألب يان أحد مشرعي هذه القوانين:

[العدالة اتجاه ثابت ملزم لإعطاء كل ذي حق حقه، وسنن القانون الوضعي تقضي بأن تحيا حياة شريفة وألا تسئ إلى أحد، وفقه التشريع هو علم الإحاطة بكل ما هو إنساني وسماوي، هو علم التفريق بين ما هو حق وما هو باطل][1] .

ولعل أبرز الجديد في قوانين السبطيين وبخاصة قانون كرك اللا (كرك الله) كان حق التصويت ، وحق تولي الحكم، وحق الاتجار، وحقوق الأبوة والوصية والميراث، وعدم جواز جلد المواطنين أو قتلهم إلا بعد تقديمهم للمحاكمة[2] .

ومن الثابت أن مجموعة جوستنيان (٥٢٧ -٥٦٥م) القانونية الشهيرة اعتمدت في صياغة أكثر موادها على بابنيان الحمصي، وألب يان الصوري.

وهكذا كان عصر سبطيم سفير عصر التشريع الذهبي في روما، كما كان عصر أغسطس بالنسبة للأدب[3]، كما وصف روستفت زف القانون الروماني زمن سبطيم سفير بقوله : [ظهر القانون الروماني لآخر مرة في أنبل مظاهره وأكثرها بهاء]. ويضيف : [ولا حاجة بنا إلى الإسهاب في هذا الموضوع الذي شاع واشتهر][4] .

---

(١) عيسى يازجي، ص ١٥١، عن : Roman Stoicism, CH 12 (197).

(٢) عيسى يازجي : ص ١١٩.

(٣) جود فري تورتون ، ص ٩٦.

(٤) روستفت زف ، ص ٤٨٠.

مذبحة الإسكندرية خريف عام ٢١٥م، وعمر كرك اللا ٢٧ عاماً :

اختلف المؤرخون في سرد أحداث المذبحة بين مبالغ ومقل مع أن بعضهم يشير إلى تأثير إصدار قانون الزعوية الرومانية (قانون كرك الله) في تفجيرها. ويبدو أن إصدار القانون أدى إن نقمة الموسرين وكبار رجال السلطة الذين ساءهم أن يسوى القانون بينهم وبين عامة الشعب في الحقوق والواجبات، ورأت المعارضة التي ناهضت سلطة كرك اللا (كرك الله) سابقا في صدور القانون فرصة للتحرك، وبخاصة بعد نقل الفرقة العسكرية الرومانية من مصر إلى منطقة الراين[1].

وبدأ التمرد على شكل حملات بالسخرية من الإمبراطور بإصدار تماثيله على شكل تماثيل الإسكندر[2]، وتطور التمرد ليصبح على شكل حركات سرية تسخر من المقدسات وتحرق المباني الحكومية[3]. ويبدو أن تسارع تفاقم المشكلة أعجز الحاكم الروماني «فراكليتوس» عن القيام بأي عمل لإعادة النظام.

وصلت إلى الإمبراطور وهو في حربه مع البارثيين على الفرات أنباء أقلقته فعلا، مع سلسلة من النكات الساخنة التي هزء بها الإسكندرانيون من إمبراطورهم (هذا عن رواية ديوكاسيوس) بشكل سافل، ومجموعة من الحكايات عن علاقة محرمة بين الإمبراطور ووالدته جوليا دمنا.

---

(١) جون لوي تورنون ، ص ١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) تورنون ، ص ١٦٤.

وكان كرك اللا (كرك الله) قبل سفره لمصر لإخماد الفتنة قد ترك والدته جوليا في دفنا/ أنطاكية لتستلم التقارير من جميع أنحاء الإمبراطورية، وتستقبل المبعوثين، وتقتضي أوقات فراغها مع أصدقائها في مناقشة موضوعات فلسفية وأدبية كانت تعقدها في صالات ومنتجعات أنطاكية التي اشتهرت بمباهجها الروحية والمادية[1] .

وصل الإمبراطور إلى الإسكندرية خريف عام ٢١٥م، وادعى أنه أتى لزيارة قبر الإسكندر المقدوني وللاشتراك في أعياد الإله سيرابيس. وقد صدقه الأهالي واحتفوا به بعد أن ملوا الفتن واشتاقوا لرؤية من يضع حدا لها، وهكذا ألقيت الزهور ونثرت العطور وعزفت الموسيقى في شوارع المدينة لدى مروره[2] ، وفي الليل أحاطت به وبموكبه المشاعل وأوصلته إلى هيكل الإله سرابيس حيث قدم القرابين وزار قبر الإسكندر.

وفي الصباح أعلن عن دعوته الشباب الأقوياء الأصحاء للتجمع في الساحة حتى يختار منهم كتيبة تسمى كتيبة الإسكندر الكبير. وقد لبى كثير من شباب الأسر النبيلة تلك الدعوة للانخراط في تلك الكتيبة، وحضر الآباء الفخورون بأبنائهم ليروا العرض العسكري للأبناء الذين كانوا يرتدون أفخر الملابس العسكرية ويطوفون في الشوارع، وكان الجميع يتوجهون بالسنة الشكر والمديح إلى الإمبراطور[3] .

---

(١) تورتون ، ص ١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٥.

وما أن تكامل توافد الجميع من أبناء الأسر النبيلة فى الإسكندرية مع عدد كبير من أبنائهم حتى انسحب الإمبراطور من مكان الاجتماع بعد أن أصدر الأوامر بإبادة الجميع، وخلال لحظات رهيبة فقدت الإسكندرية زهرة شبابها، وعدداً كبيراً من رجالاتها وزعاماتها. وتذكر تورتون : [ولإتمام انتصاره ولمنع مجرد التفكير بالعصيان، بنى كرك اللا (كرك الله) سوراً عبر المدينة قطعها إلى نصفين وجعل على السور حرساً. وكانت راقود / الإسكندرية ثانى أكبر مدينة فى الإمبراطورية من حيث عدد السكان].

لقد ساوت قوانين السافرة السبطيين بين أهل الريف والمدن[1]، كذلك أعفى القانون الفقراء من أعباء البلدية إضافة إلى المجدين العاملين فى المدينة حتى لو كانوا من أصحاب الثروة[2].

الحالة الاجتماعية فى مصر :

لاشك أن الحالة الاجتماعية فى مصر كانت مزرية، فلا مكان للمواطنين المصريين أصحاب الأرض فى الحياة السياسية والاجتماعية.

ويذكر روستفت زف فى هذا الصدد : [شعر اليونانيون فى مصر بأنهم السادة والحكام، ولم يكن يطرأ على أذهانهم قط أن يشركوا السكان الأصليين المنبوذين فى الحقوق، إنما اعتبروها حقوقاً مكتسبة لهم بالفتح وحافظوا عليها بقوة السيف. ولو حاول الملوك أن يطبقوا مثل هذا الرأى، لاعتبر اليونانيون القاطنون بالبلاد هذا الاتجاه خيانة وإثماً وافتئاتا على

(١) روستفت زف، ص ٤٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٦.

حقوقهم المقدسة في مصر. وقد عم هذا الشعور البطالمة وأباطرة الرومان، وقد بدأ البطالمة بالنظر إلى مصر على أنها ملك خاص لهم غنموه بحق الفتح، وأصبحت مصر لذلك (بيتهم) أو ضيعتهم الخاصة، في الوقت الذي كان فيه السكان الأصليون رعايا أذلة، عليهم أن يكلفوا (بيت) مليكهم بأعمالهم وأموالهم][1].

ويضيف ميخائيل روستفت زف بالقول: [وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر رأينا اليونانيين رفقاء الملك ينتمون إلى جنس الملك وينتسبون ربما إلى مدينته نفسها، ولهذا كان من الطبيعي أن يعهد إليهم الملك بإدارة (بيته) وألا يسمح قط للمصريين باعتلاء المناصب الإدارية العليا. لا جرم بعد أن قام المصريون بثورات في المدة الأخيرة ساعد على اندلاعها ضعف الحكام. لقد حاول البطالمة أن يجدوا في جيش مصري وكهنة مصريين ما يحد من التطلع السياسي إلى الجيش اليوناني والسكان اليونانيين، ولكنهم لم يذهبوا قط إلى حد الاندماج في المصريين والظهور حقا بمظهر ملوك مصر خلفاء الفراعنة[2]. وعلى هذا فقد كانت أسمى الوظائف الرئيسية في إدارة البطالمة موصدة الأبواب في وجوه المصريين، إلا إذا تشبهوا تماماً باليونانيين (أي إذا تأغرقوا) واندمجوا في عداد اليونانيين المقيمين].

وهناك بردية هامة ذكرها روستفت زف ص ٣٥٩ من رسالة أحد المصريين المتأغرقين لبعض الأخوة اليونانيين يقول فيها متوددا: [ربما

---

(١) روستفت زف، ص ٣٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٩.

نظرتم إلى يا أخوتى على أننى همجى أو مصرى ليس من بنى البشر] وكما قال عمر بن عبد العزيز : [رغبتك فى زاهد فيك ذل نفس، وزهدك فى راغب فيك قلة حظ].

هذه هى الحالة فى مصر عامة وفى الإسكندرية بخاصة، حيث لم يكن يسمح للمصرى إلا أن يكون تابعا ومن خلال ممارسته الأعمال الصناعية فقط[1]. فقد كانت الأعمال الصناعية بالنسبة لليونانى مذلة وتعتبر من الأعمال الدنيئة[2].

ومن خلال وصف مصادرنا للمذبحة، يمكن ملاحظة أن التمرد قام به بعض المواطنين الأغنياء[3] ولا وجود للفقراء فى هذا التمرد.

ويمكن ملاحظة أن كرك اللا (كرك الله) طلب فقط شباب الإسكندرية من الأسر النبيلة ومعظمهم من الإغريق والرومان للانخراط فى الكتيبة (الفخ)، وطلب آباءهم للاحتفال بهم، ولم يطلب شباباً من الطبقة الوسطى والفقراء ومعظمهم من المصريين. كل هذه الأمور تفسر لنا أن الحادثة كانت مدبرة للانتقام من أفراد الطبقات الأرستقراطية والمتأغرقين[4] الذين افتروا

---

(١) جود فرى تورتون ، ص ١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) جود فرى تورتون ، ص ١٦٤.

(٤) فى إحدى البرديات، كتاب (لأحد المصريين المتأغرقين) يذكر فيها : [ربما نظرتم إلى يا أخوتى على أننى همجى أو مصرى ليس من بنى البشر] . لقد كانت هذه الكتابة فى وقت متأخر فى القرن الثالث الميلادى، ونظن بفترة إسكندر سفير (٢٢٢-٢٣٥) أو بعده. المرجع : رومستفت زف، ص ٣٥٩، ولا تنسى أن عملية الأغواة عادت على يد آخر أباطرة السافرة اسكندر سفير.

على أنفسهم نتيجة الأنانية والشعور بالتفوق الطبقى فى بلد مارسوا فيه السيادة على أبناء البلد الأصليين الذين ساهم أن يساويهم القانون بهم.

وعلى هذا فإن ما أشيع من أن كرك اللا (كرك الله) قام بهذه المذبحة لأنه كان يكره الشعب المصرى غير مقبول فى مناقشتنا لمجريات الحوادث، إلا إذا اعتبرنا الإغريق والرومان والمتأغرقين والمترومنين فقط هم الشعب المصرى. بل يمكن أن يقال العكس، إذ أن كرك اللا (كرك الله) كان صديقا ومحباً للشعب المصرى بدليل ما تذكر مصادرنا من أن حارس كرك اللا (كرك الله) الشخصى بعد المذبحة كان مصريا[1] اسمه سرأبيون، والذى بقى سنتين حارساً له حتى اغتيال الإمبراطور، وقد نبه المصرى سرأبيون كرك اللا (كرك الله) عن مؤامرة سمعها لاغتياله.

خلاصة القول فى تبرئة كرك اللا (كرك الله) من دم المصريين الأصلاء المستضعفين :

١- مقولة روستفت زف فى أن القانون الرومانى زمن السبطيين السافرة قد بلغ أنبل مظاهره.

٢- وصف أندرية بيجانيول الأسرة السبطية بأنها الإمبراطورية العادلة للسلالة السيفيرية (أى السافرة)L'Empire Egalitaire De La} {Dynastie Des Severes بمعنى أن قانون كرك اللا (كرك الله) كان آخر تطور قانونى لجعل سكان الإمبراطورية سواسية فى الحقوق والواجبات ولأول مرة فى تاريخ الإمبراطورية. وبذلك أصبح المصرى الريفى والمدنى حراً مساوياً للإغريق والرومان والمتأغرقين والمترومنين.

٣- أن حارس كرك اللا (كرك الله) الشخصى بعد المذبحة كان سرأبيون المصرى.

٤- إن إقامة السور الذى قسم الإسكندرية إلى قسمين يفسر لنا أمرين :

أ- أن فى كل جانب من السور فئة اجتماعية معينة، ومن المؤكد أن نصف الإسكندرية كان للمصريين أبناء الأرض. والنصف الثانى للمتأغرقين الذى نال أبناءهم نتائج المذبحة.

ب- من المرجح أيضا أن كرك اللا (كرك الله) أقام السور خوفاً على البقية الباقية المتأغرقة من غضب الشعب المصرى الأصيل.

ونتيجة لذلك، فإننا لا نبرئ كرك اللا (كرك الله) من مذبحة الإسكندرية، لكننا نبرئه من دم المصريين الأصلاء أصحاب الأرض المستضعفين، داحضين ما جاء به أكثر المؤرخين الذين اعتمدوا على ديوكاسيوس الحاقد على هذه الأسرة.

ومن نتائج توالى قانون كرك اللا (كرك الله) المتواترة حتى اليوم، أن كافة الشعوب غير الرومانية سميت بالروم بعد القانون، فالعربى الإرامى، والكنعانى رومى، والنبطى رومى، واليونانى رومى، والألمانى رومى. وهى مدلول لتعنى الحرية (التى أتى بها كرك اللا). وهكذا، امتد ذلك إلى المذاهب المسيحية أيضا. فنرى روم كاثوليك، روم أرثوذكس. حتى المسيحى اليونانى سمى روم أرثوذكس وروم كاثوليك[1]. [ذكرت لى الباحثة اليونانية Dr. Lil-

(١) J. Babelon, P. 197.

ian Karali المشتركة بالمؤتمر أن اليونان الكاثوليك فقط يسمون روم كاثوليك أما الأرثوذكس فيسمون اغريق أرثوذكس، وبعد مناقشتها مع زملائها طلبت مني التريث في إعلان رأيها لبحث ذلك ومراسلتي. إلا أنها اكدت بان فترة الحكم الرومانى اعتبرت اليونان روما. علما أن شارلمان (الجير مانى) سمى دولته بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، كما أن مقدم كتاب جيبن (اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية) يعرف الروم كما عرفناه بهذا البحث].

وأخيرا:

لقد وقع بايدينا بعد إكمال دراستنا هذه حديث عن سعيد بن المسيب، جاء فى اللسان لابن منظور بمادة سفر : السافرة أمة من الروم[1] .

وجاء فى الحديث عن سعيد بن المسيب : «لولا أصوات السافرة لسمعتم وجبة الشمس».

وقال : «والسافرة أمة من الروم». كذا جاء متصلا بالحديث.

ووجبة الشمس : وقوعها إذا غربت. وأصل الوجوب السقوط. وجب الميت إذا سقط ومات. ويقال للقتيل واجب. والوجبة السقطة مع الهدّة. ووجب وجبة أى سقط إلى الأرض. والوجبة صوت السقوط[2] .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سفر.

(٢) ابن منظور، لسان العرب مادة وجب.

والحديث يدل على أنه لولا عدالة السافرة لوقعت الشمس عند مغربها من كثرة الظلم (وهذه كناية).

نعود لنقول :

لولا عدالة السافرة، وهم أمة من الروم.

لوجبت الشمس عند مغربها، من كثرة الظلم.

د. محمد بهجت قبيسي

المصادر والمراجع العربية العدنانية

١- د. إسماعيل فاروق، لغة نقوش الممالك الآرامية، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، حلب، ١٩٨٤.

٢- ر.هـ. بارو، الرومان، ترجمة عبد الرزاق يسرى وشهيرة القلماوى، مجموعة الألف كتاب، دار نهضة مصر، ١٩٦٨.

٣- تسيركين كوفيتش، الحضارة الفينيقية فى إسبانيا.

٤- تورتون جود فرى، أميرات سوريات حكمن روما، نقلها للعربية خالد أسعد عيسى وغسان أحمد سبانو، دار الريم للنشر والتوزيع، دمشق، طبعة أولى، ١٩٨٧.

٥- جونز. هـ. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة إحسان عباس، عمان، ١٩٨٧.

٦- جيبن. أ. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد على أبو دره وهاشم أحمد نجيب، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٧- ددلى دونالد، حضارة روما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٧.

٨- روسى بيير ، مدينة إيزيس، التاريخ الحقيقى للعرب، ترجمة فريد جحا، وزارة التعليم العالى، دمشق، ١٩٨٠.

٩- زهدى بشير، فيليب العربى، وثورة فى الإمبراطورية الرومانية وسورية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠.

١٠- طوير قاسم، أضواء جديدة على تاريخ وآثار بلاد الشام، تأليف مجموعة من علماء التاريخ والآثار، تعريب قاسم طوير، طبعة أولى، دمشق، ١٩٨٩.

١١- العابد مفيد رائف، دراسات فى الآثار الكلاسيكية، دمشق، ١٩٧٦.

١٢- العبادي مصطفى، العصر الهلنستي، مصر دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

١٣- العبادي مصطفى، الإمبراطورية الرومانية، بيروت، ١٩٨١.

١٤- قاموس لسان العرب لإبن منظور.

١٥- محفل محمد ، الزين محمد ، دراسات في تاريخ الرومان، دمشق، ١٩٨٥.

١٦- محفل محمد ، تاريخ الرومان، دمشق، ١٩٧٤.

١٧- سفر ومصطفى علي، الحضر مدينة الشمس، وزارة الإعلام، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٤.

١٨- يازجي عيسى، مآثر سوريا في العصر الروماني، طبعة أولى، بيروت، ١٩٩١.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- Babelon Jean, Imperatrices Syriennes, Edition Albin, Michel, Paris, 1957.

2- Corpus - Inscriptionum Semiticarum Paris, Secunda - Tomus, 111-1926.

3- The Oxford Classical Dictionary, Oxford, 1979.

4- Latin Dictionary, Latin/ English E.L., London, 1987.

5- Greek English Lexicon, Oxford, 1986.

6- L.Costaz. S.J., Dictionnaire Syriaque- Francis, Syriac-English Dictionary, قاموس سرياني – عربي ، بيروت

7- Hebrew and English Lexicon Dictionary.

8- Gibbon. E., The Deccline and Fall of the Roman Empire, New York,

9- Piganiol Andre, L'Histoire de Rome, Paris, 1954.

10- Rostovtzeff. M., The Social and Economic History of the Roman Empire, Oxford, Second Edition, 1957.

11- Suitonius 6, The Twelve Caeser , Translated by R. Graves, Penquin Book 6, Edition 1986.

ملحق (١)

شاهدة قبر فى جزر البليار (١٢٥ ق.م.)

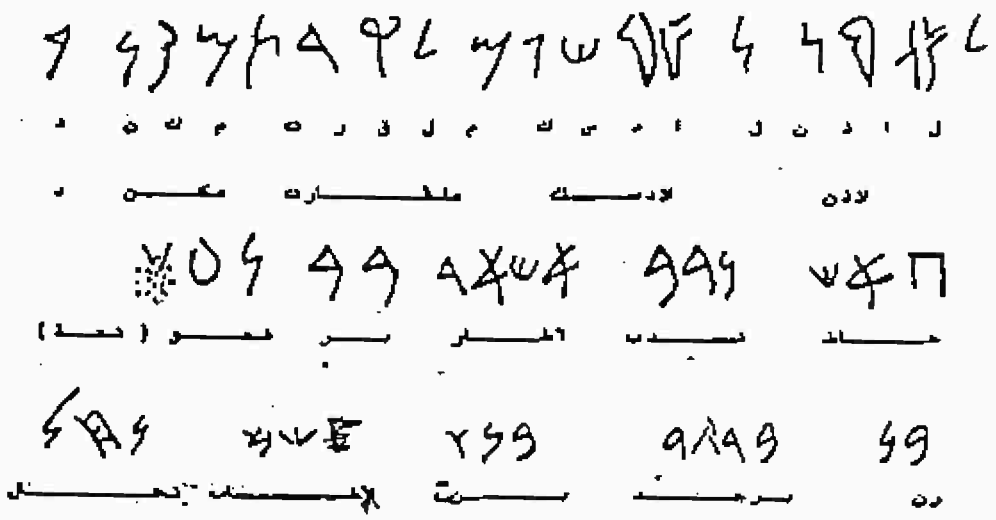

القراءة : لإذن لأدسك ملقارت (تلك القرية)

مكن ذ، حاظ، ندب، أطار ، بر النَعْوَم.

ون (أى قبر) بزجد بنت طالب نحان.

ملحق (٢)

الأمثلة الكنعانية :

شاهدة قبر كنعاني في جزر البليار : ١٢٥ ق.م.

غرب إيطاليا وشرق إسبانيا .

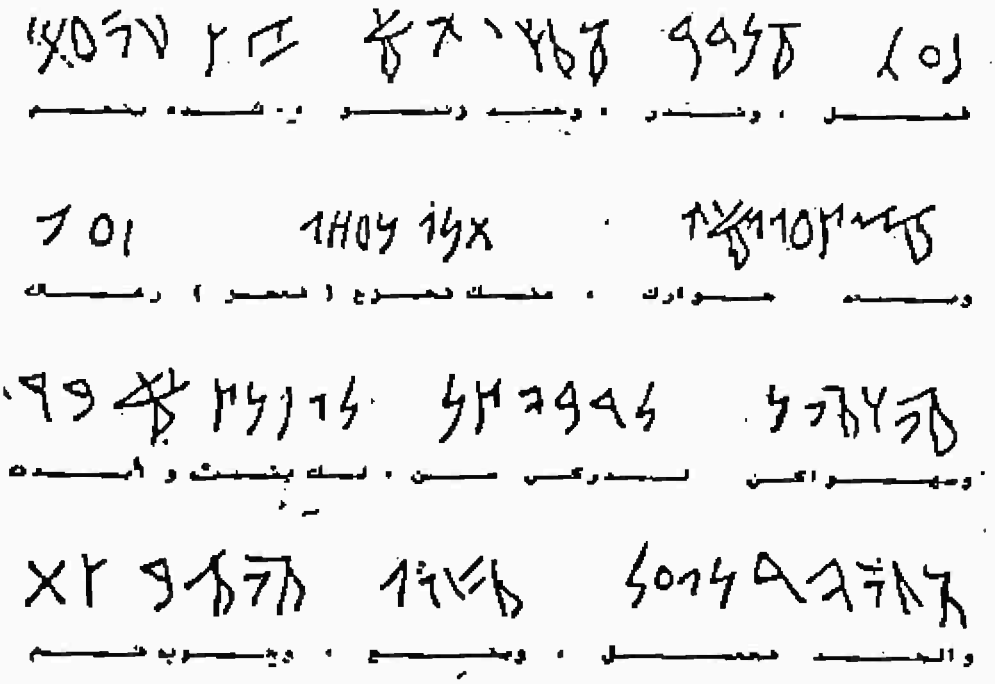

اللفظ : فعل وندر وحصد زيناً، شدهُ ينعم، ويسعد جوارك

(أيها الإله) منك تعزز (تعجز) رعاك، ويهواكن.

لدركى (لطريقى) صن، لك بنت وأبدت.

والحد نجعل، وينج، وجوب تم.

ملحق (٣)

نقش البرازيل : ١٢٥ ق.م. (كنعانى)

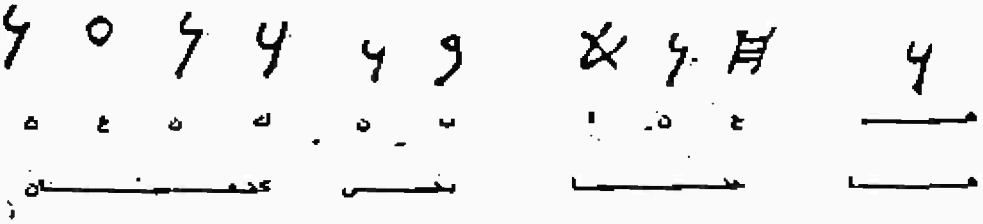

نقش بيض هلك

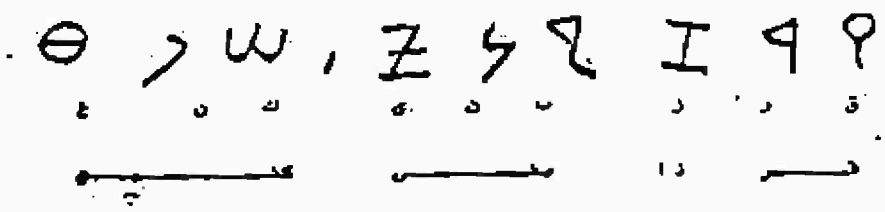

السطر الأول : ها نحن بنى كنعان

السطر الثانى : قلعة (قر) من المقر) الحصن ذا بنى كنع (كنعان)

لاحظ : أن الكنعانيين سموا انفسهم بنى كنعان، وليس فينيقى وهنا جزء من نقشين مختلفين.

ملحق (٤)

الأمثلة الآرامية

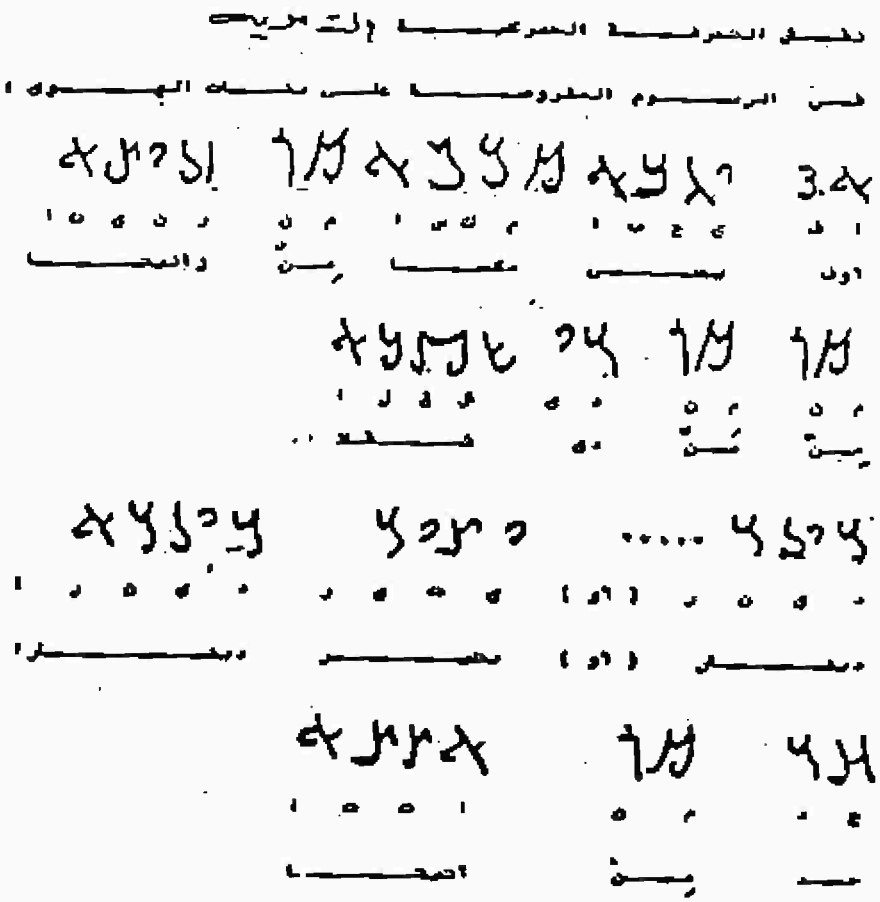

أوف بمعنى أيضاً وهى باقية فى التراث الغنائى العربى حتى اليوم

مكسا : بمعنى المكس (الرسم) والألف بآخر الكلمة هى أداة التعريف العربية الآرامية.

يثير: يزيد وهى من التعناو، جاء فى القرآن الكريم أو يتركم أعمالكم بمعنى ينقصكم

شغلا : بمعنى شغلها حد : بمعنى واحد أتيتا بمعنى الآتية هذا العمل.